وشيخ جليل القدر ، فهو والحالة هذه ، رجل عاقل مسئول يدرك ماذا يصنع ويفهمه كل الفهم(١١). وكان القسام يؤمن بأن عرب فلسطين اذا شاءوا ان يحيوا في بلادهم ويدرأوا عنها الخطر الاستعماري والصهيوني فعليهم أن يبادروا الى ذلك معتمدين على انفسهم فقط ، غير منتظرين ان تهبط عليهم النجدات من السماء أو تأتي اليهم من وراء الحدود ، لانه كان يدرك ان كل بلد عربي لديه ما يشغله من مشاكله الخاصة او يمنعه من تقديم المساعدة والعون لعرب فلسطين(١٢).

ويحدث بعد انتفاضة البراق عام ١٩٢٩ انقسام داخلي في حلقات الشيخ القسام ، فقد انشق عدد من اخوانه على رأسهم أبو ابراهيم الكبير (خليل محمد عيسى) نتيجة لعاملين: العامل الاول هو انهم رأوا ان الوقت قد حان لاعلان الثورة حيث يرون الخطر يهدد كيان البلاد ، ولم يكن الشيخ القسام موافقا على ذلك حيث أن الاعداد للثورة لم يكن قد اكتمل بعد. والعامل الثاني هو رغبة المنشقين في جباية الاموال اللازمة للثورة من الشعب بكل وسيلة ممكنة ، بينما كان القسام يميل بل يصر على الانتظار وعدم استعمال العنف خوفا من الانقسامات الداخلية ، وان الشعب سيؤيد الثورة بكل امكانياته بعد قيامها . وقد ظل امر هذا الخلاف غير معروف للحكومة اكثر من خمس سنوات ، ودل على تقدير رجال هذه العصبة لرسالتهم حتى وان اختلفوا على الوسائل والتفاصيل . وقد ظل المنشقون بعد ذلك يعملون سرا ضمن مخطط القسام الثوري .

وفي السنوات التي تلت انتفاضة البراق عام ١٩٢٩ كان نفر من الشباب المتحمس من اخوانه يرغب في التعبير عن شعور السخط على سياسة تهويد فلسطين بقتل من يمكن قتله من الصهيونيين . وفي عام ١٩٣٣ تمكن احمد الغلاييني من صنع قنابل الغام في معمله بمدينة حيفا ، واعطى ما صنع منها وعدده قنبلتان الى الحاج صالح احمد طه من قرية صفورية ،وكان لدى الحاج صالح ثلاث بنادق حربية، فكان يذهب في بعض الليالي الى المستعمرات الصهيونية الواقعة في مرج ابن عامر مع الشيخ احمد التوبة ومصطفى علي الاحمد ويطلق النار على من يجد من الصهيونيين . وعندما تمكن احمد الغلاييني من صنع القنابل استلمها الحاج صالح وذهب مع بعض اخوانه ، ووضعوا اول قنبلة في مسكن اربعة حراس صهيونيين في مستعمرة نهلال « الواقعة بين حيفا والناصرة قرب قرية المجيدل » فقتلت القنبلة اثنين وجرحت آخرين ، ولم يكشف سر القنبلة الا بعد ثلاثة اشهر بالرغم من جهود رجال الشرطة . فقد اكتشف الحادث عندما قامت قوة من رجال الشرطة بتطويق قرية صفورية وصادرت بندقية حربية وقنبلة مماثلة للقنبلة التي القيت في نهلال في منزل مصطفى الاحمد الذي استعملت معه سائر وسائل التعذيب الوحشية حتى اعترف بالحادث تفصيلا ، فاعتقل احمد الغلاييني صانع القنبلة وابراهيم احمد طه واحمد التوبة وآخرون منهم خليل محمد عيسى (ابو ابراهيم الكبير فيما بعد) وجرت محاكمتهم حيث حكم على مصطفى علي الاحمد بالاعدام ونفذ الحكم فيه ، وحكم بالسجن خمسة عشر عاما على صانع القنبلة احمد الغلاييني وبرىء الآخرون(١٣). ويروي عجاج نويهض ان الغلاييني حكم عليه بالسجن عشر سنوات مع الاشغال الشاقة ، وانه بقي في السجن حتى عام ١٩٤٤ ، وانه تابع نشاطه الوطني بعد الافراج عنه .

وقد تبع ذلك محاولتان اخريان محدودتان قام بهما رجال القسام على سبيل التجربة ، الاولى في مستعمرة عثليت عندما فاجأوا الصهيونيين وقتلوا عددا منهم ، والثانية قرب قرية « الياجور » عندما تصدوا لسيارات كثيرة كانت تنقل العمال الصهيونيين من مستعمرة الى اخرى وقضوا على عدد منهم(١٤). وقد أشار التقرير السنوي لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٥ الى أن الحكومة كان لديها شك كبير في أن لعصابة الشيخ القسام علاقة بالاعمال الارهابية التي حدثت خلال السنوات السابقة(١٥). وكانت تلك المنظمة تعمل في طي الكتمان ، فلم يكن يعرف من كان يقوم بتلك الاعمال غير نزر يسير من الوطنيين ، ولكن لم يلبث الشيخ القسام وعصبته أن قرروا القيام بأعمال الجهاد علانية